التعقيب القرآني على أحداث السيرة النبوية في سورة النور دراسة سياقية

د٠ أحمد عبد المولى مناعي (*)
أ٠ نواف فهد الرشيدي (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وَأَجلِّها؛ لتعلقه بكلام الله تعالى؛ لذا فإنّ كل دراسة تعنى باستنطاق آي الذِّكر الحكيم وتثوير معانيه جديرة بالدرس والعناية.

ومن المعروف أن مِن جملة ما نَوّه به القرآن الكريم في دَرْج موضوعاته العديدة الإشارةَ إلى جانب من أحداث السيرة النبوية بعبارة موجزة المبنى، مُتَّسِعةِ الدلالة والمعنى، ثم التَّعْقيب على تلك الأحداث بآية أو ببعض آية أو بجملة من الآيات اتصلت بالحدث فكانت تلك التَّعقيبات بمثابة الخاتمة المُرْسَلةِ الأَغْراض، تحمِلُ حُكْما وتَوجيها أو بيانا وتنبيها بمَسلَك التَّتميم والتَّذْييل، أو على سبيل الاستئناف والتعليل. فتوجهت هِمَّتُنا – بتوفيق من الله تعالى– إلى دراسة التَّعقيبات القرآنية على تلك الأحداث في السيرة النبوية دراسة سياقية، فحواها: إظهارُ دقةِ التَّرابُط وجَوْدَة السَّبْك بينها وبين ما تَقَدَّمَها، ومحاولة استخلاص الأغراض الكامنة في هذه التَّعقيبات.

(*) أستاذ مساعد – الحديث الشريف وعلومه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – الأردن.
(*) باحث في علم التفسير.

واختَرْنا سورة النّور مجالا إجرائيا لدِراستِنا هذه؛ لاشتمالها على جُمْلة من التشريعات الحكيمة المُتَّصِلة بواقع المجتمع الإسلامي في جانب حماية الأُسْرة: كحرمة الزِّنا أو الإكْراه عليه. وحُرمة قَذْف المُحْصَنات. وتَنْويهها ببراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رُميَت به زورا وبُهتانا. وحديثها عن بعض أحكام البيوت، وآدابها.

وسَمَّيْنا هذه الدراسة المتواضعة: "التَّعقيب القرآني على أحداث السيرة النبوية في سورة النور دراسة سياقية".

أسئلة الدِّراسة:

سُؤالُ الدِّراسة الرَّئيسُ: **ما وجه النَّظم القرآني في التَّعقيب على أحداث السيرة النبوية في سورة النور، ودلالاتها المختلفة؟**

ومنه تَنْشَعِبُ أسئلةٌ فرعية لازمة له، وكاشفة عن تَفاصيل مَقصِدِه، أهمها:

١. ما مفهوم التعقيب القرآني؟ وما المُراد بالسِّياق القرآني في حقول الدَّرس التَّحليلي؟

٢. ما دلالة الحدث في السيرة النبوية؟ وما الفرق بينه وبين القصة القرآنية؟

٣. ما وجه تعَلُّق النَّظْمِ الكريم بالآيات التي أشارت إلى أحداث وَقَعَت في السيرة النبوية واحْتَضَنَتْها سورة النّور؟

٤. ما الأغراض التي قَصَدَ إلى تحقيقها التَّعقيب القرآني على أحداث السيرة النبوية في سورة النّور؟

أهداف الدراسة.

١. عَرْضُ مفهوم التَّعقيب القرآني، ومفهوم السياق.

٢. توضيح دلالة الحَدَث في السيرة النَّبويّة، والفَرْقِ بَينه وبين القصة القرآنية.

٣. دراسة النَّمط البياني الذي أحكَم الرِّباط بين آيات التعقيب على أحداث السيرة النبوية وبَين ما سبقها من آيات كريمة.

٤. التَّنْويه بِغايات التَّعقيب القرآني على أحداث السيرة النَّبويّة في ميادين الحياة.

أهمية الدراسة:

لمّا كان مِن شَأْن هذه الدِّراسة النُّهوضُ بغاياتِها: مِن بيان دِقَّة التَّناسُب بين مَفاصِل الآي الكريم، والمُشارَكةُ في الكشف عن جانب من جوانب إعجازه في اتِّساعِ دلالتِه على وَجازَةِ نَظْمِه؛ فإنَّها تُضيف سُهْمة مَعْرِفيّة في حُقول الدَّرس السِّياقيّ بكثير مِن مُفرَداته إلى المَكْتَبة القرآنية؛ لعلها تَنْفَعُ الباحثين، وطالبي المَعْرِفة.

الدِّراسات السابقة:

لم نَقِفْ – حسْبَ اطِّلاعنا، وسُؤالِنا أهل العلم والتخصص– على دِراسة سابقة من شَأْنِها تَناوُل مَوْضوع "التَّعقيب القرآني على أحداث السيرة النبوية في سورة النُّور" بالنَّمَط السِّياقيّ على النحو الذي قَصَدنا إليه: من حيثُ خُصوصيّةُ موضوعِها، وطريقةُ تناوُلِها في حقول البحث السياقي وتَراسُلاتِه البيانية.

منهج الدراسة:

اتَّبع الباحثان في مُعالَجة موضوع دراستهما المَنْهجَين: الاستقرائي، والتحليلي.

فبالمَنْهَج الاستقرائي: استظهر الباحثان – بصورة موعِبة – أحداث السيرة النبوية التي أشارت إليها الآيات القرآنية في سورة النور، ثُمَّ حَصَرا مواضع التَّعقيب عليها مستعينَين بِفَهْم مُحيطِ الآيات الكريمة، وسياقاتها، ومُسْتنِدَين إلى أسباب نزولها الصحيحة الصريحة.

وبالمنهج التحليلي: قَصَدَ الباحثان إلى آيات التَّعقيب؛ لتحليلها، والتَّعَرُّف على فَحْواها وفوائدها، وإظهار إحكام الربط والتناسب بينها وبين ما قبلها.

التمهيد

في هذا التمهيد تعريف بمفهومَي التَّعقيب والسياق القرآنِيَّيْن. وبيان لدلالة حَدَثِ السيرة النَّبويّة والفرق بينه وبين القصة القرآنية؛ ليكون القارئ على ثَلَجٍ من الأمر حين يَلقاه ذلك كله في دَرْجِ البحث، وصفحاته.

أولا: مفهوم التَّعقيب القرآني: وهو مركب وصفي؛ إذ وقعت مفردة "القرآني" الظاهرة الدلالة والنسبة صفة لمفردة التعقيب.

وهو في اللغة: مصدر عَقَّبَ بصيغة التَّضعيف، وجذره الثلاثي: عَقَبَ، من باب ضَرَبَ، وَنَصَرَ. قال ابن فارس: (العَيْنُ والقافُ والباءُ: أَصْلانِ صَحيحانِ، أَحَدُهُما: يَدُلُّ عَلى تَأْخيرِ شَيْءٍ بَعْدَ غَيْرِهِ. والأَصْلُ الآخَرُ: يَدُلُّ عَلى ارْتِفاعٍ وَشِدَّةٍ وَصُعوبةٍ)[1]. فمن الأصل الأول: (عَقِبُ القَدَمِ وعَقْبُها: مؤَخَّرُها)[2]. ويقال: (وطِئَ الرِّجالُ عَقِبَ فُلَانٍ: إذا مَشَوْا فِي أَثَرِهِ. وَوَلّى على عَقِبِهِ وعَقِبَيْه: إذا أَخَذَ فِي وَجْهٍ ثُمَّ انْثَنَى رَاجِعاً. وَمِنْه: التَّعْقِيبُ: وَهُوَ الكَرُّ فِي الْقِتال، والمَجِيءُ فِي آخِرِ النَّهار... والمُعَقِّبُ: الَّذِي يَتْبَعُ عَقِبَ الْإِنْسَان فِي حَقٍّ...وكل فاعلِ شَيْءٍ بعدَ شَيْءٍ مُعَقِّبٌ كالغَزَاة بعدَ الغَزاة وَالصَّلاة بعدَ الصَّلاة)[3]. ومن الأصل الثاني: العَقَبَة، وهي: (طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ. وَجَمْعُها: عِقابٌ. ثُمَّ رُدَّ إِلَى هَذَا كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ عُلُوٌّ أَوْ شِدَّةٌ)[4].

وخُلاصَةُ القَوْلِ: أَنَّ التَّعقيب: دالٌّ على شيء متأخر عن سابقِه؛ لِمَعْنى مِن المَعاني.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، د.ط،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٧٧/٤.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ، ٦١١/١، مادة "عقب".

(٣) المخصص، أبو الحسن: علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: إبراهيم خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١٧٥/١-١٧٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٨٤/٤-٨٥.

وهو في الاصْطِلاح: تَبْيينُ ما في الشَّيْءِ المُعَقَّبِ عليه من عُيوبٍ أو مَحاسِن؛ لِيَرُدَّهُ أو يَنْقُضَهُ أو يُؤَيِّدَهُ[1]. وقيل: إنَّه (الاسْتِدراكُ على الكَلامِ بالتَّقْريرِ والإثْباتِ أو النَّفي والنَّقْدِ)[2].

وأَمّا التَّعْقيبُ القرآنيُ فهو إلْحاقُ آيَةٍ كامِلةٍ أو بَعْضِها أو أَكْثَر مِنْها بِآيَةٍ قَبْلَها، ومُتَّصِلَةٍ بِها لَفْظاً أو مَعْنى؛ لِغايَةِ التَّتْميمِ أو التَّعْليلِ أو التَّوْجيهِ أو اسْتِخْلاصِ حُكْمٍ.

فقَيْدُ الإلْحاقِ– في التعريف – دالٌّ على أَنَّ التَّعْقيبَ تابِعٌ مُتَأَخِّرٌ. والتَّقييدُ بِآيَةٍ كامِلةٍ أو بَعْضِها أو أَكْثَر مِنْها: إشارَةٌ إلى حَجْمِ هذا التَّعْقيبِ؛ فَقَدْ يُعَقِّبُ القرآنُ بِآيَةٍ واحِدَةٍ، أو بِبَعْضِ آيَةٍ نحو الجُمْلَةِ مِنْها، كالْفاصِلَةِ القُرآنيَّة. ورُبَّما يَمْتَدُّ التَّعْقيبُ؛ لِيَشْمَلَ عَدَداً مِنْ الآياتِ.

وتَقْييدُنا الإلْحاقَ بالاتِّصالِ بِسابِقِهِ لَفْظاً أو مَعْنى: إشارَةٌ إلى مَوْقِعِهِ مِمّا قَبْلَهُ؛ إذْ قَدْ يَكونُ اللفْظِيُّ عَطْفا. والمَعْنَوِيُّ اسْتِئْنافا.

وقَوْلُنا: لِغايَةِ التَّتْميمِ أو التَّعْليلِ، إلخ. هُوَ بَيانٌ لِلْغَرَضِ المَقْصودِ مِنْ التَّعْقيبِ.

ثانيا: مفهومُ السِّياقِ القرآنِيِّ.

السِّياقُ لُغَةً: مَصْدَرٌ مُشْتَقٌّ من سَوَقَ، وَهُوَ (حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقالُ: ساقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقاً. وَالسِّيْقَةُ: ما اسْتِيْقَ مِنْ الدَّوابِّ... وَالسُّوْقُ: مُشْتَقَّةٌ مِنْ هذا؛ لِما يُساقُ إِلَيْها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[3]. وفي اللسان: (انْساقَتْ وَتَساوَقَتْ الإِبِلُ تَساوُقاً: إِذا تَتابَعَتْ. والمُساوَقَةُ: المُتابَعَةُ)[4].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ١٥٢٤/٢ بتصرُّف.

(٢) موقع الإسلام ويب:https://fatwa.islamweb.net/ar/fatwa/٧٠٥٢٤/

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١١٧/٣، مادة: سوق.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ١٦٦/١٠، مادة: سوق.

وَهُوَ (يَسُوقُ الحَدِيثَ أَحْسَنَ سِياقٍ... وَحِنْكَتُكَ بالحَدِيثِ على سُوقِهِ: على سَرْدِهِ)[1].

والخُلاصةُ: أنَّ مفْرَدةَ السِّياق لُغَةً: تَدُلُّ على مُتابعةٍ وانْتِظامٍ.

وهو في اصطِلاح الباحثين: مُؤْتَلِفٌ مع طبيعة العلم الذي يَنْتَمي إليه كالسِّياق الأَدَبيِّ، والسِّياقِ الاجْتِماعيّ، والسِّياقِ التَّرْبَويِّ. ومنهم مَنْ يُنَوِّعُهُ إلى سِياق الحالِ، وسِياق الموقف، وسِياق المَقام، إلى غير ذلك من المجالات.

والذي يعنينا هو دلالة السِّياق في مجال تفسير القرآن. فقيل: السِّياق القُرآنيُّ: (تَتابُعُ المَعاني وانْتِظامُها في سِلْكِ الأَلْفاظِ القُرآنِيَّة؛ لِتَبْلُغَ غايتَها المَوْضوعِيّة في بَيانِ المَعنى المَقْصود دون انْقِطاع)[2]. وقيل: هو (بَيانُ المَعْنى مِنْ خِلالِ تَتابُعِ المُفْرَداتِ والجُمَلِ والتَّراكيبِ القُرْآنِيّة المُتَرابِطَة)[3].

ويُمكِنُنا القول بأنَّه: مُحيطُ الآيَةِ أو الآياتِ ذاتِ المَوْضوعِ الواحِدِ المُؤْتَلِفِ مِنْ عَناصِرِ السِّباقِ واللحاقِ وما بَيْنَهما مِنْ قَرائِنَ دالَّةٍ على تَوْجيهِ مَعْنى كَلامِ الله تعالى.

فالسياقُ القرآني مَرْهونٌ بمَوْضوعه سواء كان في آيَةٍ أو آيات. وتَظْهَرُ مَعالِمُه مِن خِلال دِقَّةِ الإحْكامِ بين الآية وبين ما قَبْلَها، وبَيْنَها وبين ما بعدَها. يَنْضافُ إلى ذلك عناصر نحوية وأُخْرى دلالية تَكْتَنِفُها الآيَة فيكون لها أَثَر في تَوجيه المَعنى.

ثالثا: دلالة الحدث في السيرة النبوية، والفرق بينه وبين القصة القرآنية.

---

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص:٤٨٤.

(٢) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى محمود، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة اليرموك، الأردن،٢٠٠٥م، ص١٤.

(٣) السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن المطيري رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٧٢.

يُقْصَدُ بالحَدَثِ في السّيرة النَّبوية: الوَقائِعُ التي حَصَلَتْ في حياة النَّبي ﷺ سواء أَكانت مُتَّصِلَةً به اتِّصالاً مُباشِراً أَمْ غير مُباشِرٍ.

ونَعْني بالوقائِعِ: صُوَرَها المُتَعَدِّدَة؛ فقد تكون سُؤالاً، أو قِصَّةً أو حَدَثاً جارياً: كالهِجْرَة النَّبويّة، وغَزْوِ العَدُوِّ، وحادثة الإفْكِ، ونحو ذلك.

ونعني باتصالها بالنبي ﷺ اتِّصالاً مُباشِراً: وُقوعُها مِنْه قَولاً أو فِعْلاً أو تَقْريراً.

ونعني بالاتِّصالِ غير المُباشِر: ما جرى مِن تلك الوقائِع في زمانه ﷺ دون أن تَصدُرَ عنه، أو أن يكون طَرَفا في حُصولها: كغَزْوِ العَدُوِّ له، وتآمُر اليهود عليه، وتخَلُّف المنافقين عنه، وعن أصحابه في ما دعاهم إليه.

والمراد بالقصة القرآنية: حكاية القرآن أخبار القرون الأولى: في مجال الرِّسالات السماويَّة، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضَّلال بصورة حقيقية بعيدة عن التخييل والتمثيل(١).

وأَمّا الفرْقُ بين حَدَثِ السّيرة النَّبويّة وبين القصّة القرآنية فيمكننا إجْمالُه فيما يأتي:

١. حَدَثُ السّيرة: واقِعةٌ حَصَلَتْ في زمن النبي ﷺ. أَمّا القِصَّة القرآنية فحِكايةُ القرآن أخبارا حَصَلَت في زمنٍ سابقٍ على زمنه.

٢. تكونُ صِحَّةُ الحَدَثِ في السّيرة النبوية مَرْهونَة بصِحَّةِ النَّقلِ على طريقة النُّقّاد المُحدِّثين. بينما تكون القِصّة القرآنية مُتَواتِرة؛ بتَواتُرِ القرآن الكريم نفسِه.

٣. يكونُ لكل حَدَثٍ في السيرة النبوية سَبَبُ وُرودٍ؛ دليلاً عليه. في حين أن القِصَّة القرآنية لا تحتاج إلى سَبَبِ نُزولٍ في الغالب الأعم.

وعلى الرَّغْم مما تَقَدّم إلّا أن القرآن حين أشار إليهما وعَبَّرَ عنهما كان في أُسلوبِه رَفيعاً مُتَمَيِّزاً، وفي طَبَقة عالية ومُتَساويَة في البَلاغة.

---

(١) القصص القرآني في منظومه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ص٤٠، بتصرُّف.

المبحث الأول

التعقيب على حرمة الزنا،

والإكراه على البغاء

قصَدَ الإسلام من خلال تشريعاته الحكيمة إلى صيانة الأعراض والأموال؛ لِحفْظِ المجتمع من كل ما يَسوؤُهُ؛ لذا فقد حَرَّم الزنا، وجعله من الكبائر المُوبِقَة. كما حَرَّم الإكراه عليه؛ طَلَبا لأي عَرَضٍ من أعْراضِ الدنيا.

وفي ثنايا هذا المبحث ندرس حَدَثَيْن وَقَعا في السيرة النبوية عَرَضَتْهُما الآيات الكريمة، وعَقَّبَتْ عليهما، وهُما في موضعين من السورة جَمَعْنا بينهما لاتحاد موضوعهما.

قال الله تعالى في الموضع الأول من السورة: ﴿ **الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور:٣].

وقال الله تعالى في الموضع الثاني من السورة: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النور:٣٣].

المطلب الأول: المدلول وملابسات النزول.

أخبر الله تعالى في الموضع الأول: (بِأَنَّ الزَّانِيَ لَا يَطأ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَة. أَيْ: لَا يُطاوِعُهُ عَلَى مُرَادِهِ مِنَ الزِّنَى إِلَّا زَانِيَةٌ عَاصِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ، لَا تَرَى حُرْمَةَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ: "وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ" أَيْ: عاصٍ بِزِناهُ، "أَوْ مُشْرِكٌ" لَا يَعْتَقِدُ

تَحْرِيمَهُ)[1]. وعلى هذا يكون معنى النكاح في الآية: الجِماع، والوَطْء، لا العَقْد. وقد رُويَ ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين[2]. والمُراد بقوله – تعالى–: "وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" أي: الزِّنا مطلقا، أو الزواج بزانية مؤمنة تدوم على زِناها، ولا تتوب منه. وقد رُويَ في سبب نزول هذه الآية –تحديدا– أحاديث عديدة: مَضْمونُها: أنَّ أحَدَ الصحابة رضى الله عنهم كان قد اسْتَأذَنَ النَّبي ﷺ أن يتزوج بزانية؛ لتُنْفِقَ عليه أو لحُبِّه إيّاها، فنزلت الآية؛ تَشْرَح الأمر، وتُبَيِّن حُكْمَ الله فيه.

أخرج أبو داود والترمذي وحَسَّنَه والنَّسائي عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: كانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ، وَكَانَ رَجُلاً يَحْمِلُ الأَسْرَى مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ، قَالَ: وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا: عَناقا وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ وَعَدَ رَجُلاً مِنْ أُسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ، قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ عَنَاقٌ فَأَبْصَرَتْ سَوَادَ ظِلِّي بِجَنْبِ الحَائِطِ فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَيَّ عَرَفَتْ، فَقَالَتْ: مَرْثَدٌ؟ فَقُلْتُ: مَرْثَدٌ. فَقَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً هَلُمَّ فَبِتْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا عَنَاقُ، حَرَّمَ اللَّهُ الزِّنا. قَالَتْ: يَا أَهْلَ الخِيَامِ، هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أُسَرَاءَكُمْ. قَالَ: فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةٌ وَسَلَكْتُ الخَنْدَمَةَ فَانْتَهَيْتُ إِلَى كَهْفٍ أَوْ غَارٍ فَدَخَلْتُ، فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي فَبَالُوا فَظَلَّ بَوْلُهُمْ عَلَى رَأْسِي وَعَمَّاهُمُ اللَّهُ عَنِّي، قَالَ: ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ وَكَانَ رَجُلاً ثَقِيلاً حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الإِذْخِرِ، فَفَكَكْتُ عَنْهُ أَكْبُلَهُ فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعْيِينِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْكِحُ عَنَاقًا؟ فَأَمْسَكَ

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء: إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٩/٦.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٣٨٠/٣، بتصرُّف.

رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ "الزّاني لا يَنْكِحُ إِلّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ"، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا مَرْثَدُ، "الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ"، فَلا تَنْكِحْهَا)[1].

ومعنى الآية الكريمة في الموضع الثاني: أَنّ الله تعالى أَمَرَ كُلَّ مَنْ لا يستطيع الزواج بالاسْتِعْفاف عن الزِّنا بصوم أو بغيره حتى يَجِدَ لنفسه سبيلا حلالاً. وأَمَرَ سادَةَ العبيد أن يُكاتِبوهم لعتْقِهم إذا كانوا قادرين على ما اشْتُرِطَ عليهم من المال متى كانوا قادرين على الكسب، ولهم في جمع المال حيلة حتى لا يكونوا بعد العِتْق عالةً على الناس. وهذا معنى قوله: "إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا" والأمر في ذلك على الوجوب أو الاستحباب على ما ذكر ابن كثير عن طائفة من الصحابة والتابعين[2]. وأَمَرَ ﷻ هؤلاء السادة بأن يعينوا عبيدهم على العتق بأن يضعوا عنهم بعض المال أو هو أمر لعامة المسلمين بِدَفْع زكاة أموالهم للمُكاتِبين عوناً لهم على العِتْق، والوفاء بشرطه.

وفي الآية الكريمة – أيضا– نهى الله تعالى السادة عن إكراه الإماء على الزِّنا طلباً للكسب أو الولد أو لأي عَرَضٍ آخر متى أَرَدْنَ التَّحَصُّن والعفة. ووعد سبحانه أنه سيغفر لهُنَّ، ويرحمهن متى أُكْرِهن على ذلك، وأن إثم الزِّنى يَحْتَمِلُه مَنْ أَكْرَهَهنَّ عليه، وهم السادة[3].

---

(١) السنن، أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قرة دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، كتاب النكاح، باب في قوله: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً} حديث رقم:٢٠٥١، ٣٩٦/٣، واللفظ له. والجامع الكبير، أبو عيسى: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة النور، حديث رقم: ٣١٧٧، ١٨٢/٥، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ. والحديث صحح إسناده الحاكم.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩/٦.

(٣) المصدر السابق.

والذي نريده من هذه الآية –وله علاقة بموضوع هذا المبحث– هو المقطع الأخير منها وهو قوله سبحانه: "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيم"، فهذا هو الحدث الذي وقع في السيرة النبوية، وأشار إليه القرآن، ثم عَقَّبَ عليه. يَشْهَدُ لذلك سبب نزول هذه الآية.

فقد أخرجه مسلم عن جابر ﷺ قال: (إنَّ جارية لعبد الله بنِ أُبَيّ ابن سَلول، يُقالُ لها مسيكة. وأخرى يُقال لها أُميمة. فكان يُكْرِهُهما على الزِّنا. فَشَكَتا ذلك إلى النَّبِيِّ ﷺ فأَنْزَلَ اللَّه: "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ" إلى قوله: "غَفُورٌ رَّحِيمٌ")[1].

وفي لفظ آخر لمسلم عنه ﷺ قال: (كان عبد الله بن أُبَيّ ابنُ سلول يقول لجارية له: اذهبي فابْغِنا شيئا. فأنزل الله ﷻ: "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ")[2].

المطلب الثاني: التَّعقيب على الآيتين الكريمتين.

اشتملت الآيتان الكريمتان في المَوْضِعَين على تَعْقيبَين اثنَين. كُلُ تَعْقيبٍ يَتَعلَّق بإحْدى الآيتين، ولكل واحد منهما علاقةٌ بمضمون ما تَقَدَّم، وغَرَضٌ يَهدِف إليه.

التَّعْقيبُ الأول: وهو في قوله – تعالى– : "وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ".

مَوقِعُ هذا التعقيب مِن مضمون الآية التي قَبْلَه: أنَّه معطوف بحرف الواو على الجملتين السابقتين، والغرض حينئذ منه: (تَكْمِيلٌ لِلْمَقْصُودِ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ قَبْلَه، وَهُوَ تَصْرِيحٌ بِمَا أُرِيدَ مِنْ تَفْظِيعِ نِكَاحِ الزَّانِيَةِ، وَبِبَيَانِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ فِي الْقَضِيَّةِ)[3] أو أن تكون الواو اسْتِئْنافية، والجملة بعدها مُسْتَأْنَفة، الغرض –حينئذ– منها: (بَيان حُكْمِ نِكاح الزواني والمشركات)[4].

---

(١) الجامع الصحيح، أبو الحسين: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ط،ت، كتاب التفسير، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ} [النور: ٣٣]، حديث رقم: ٣٠٢٩، ٤/٢٣٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، د.ط، ١٩٨٤م، ١٨/ ١٥٧.

(٤) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، دار طوق النجاة، ودار المنهاج، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٩/٢٣٤.

وبُنِيَ الفعل للمجهول "وَحُرِّمَ"؛ لظُهورِه؛ لِأَنَّ الذي له الحق في التَّحليل والتَّحريم هو الله تعالى. واسْمُ الإشارة "ذَلِكَ" هو إلى ما تَقَدَّم في مضمون الآية، وقد حَمَلَ دلالة البُعْد؛ لبيان أن الزنا أو الزواج بالزانية أو المشركة بَعيدٌ كلَ البُعدِ عن حقيقة الإيمان أو رفعة الفضيلة.

التَّعقيب الثاني: وهو في قوله – تعالى– : "وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ".

قال الألوسي – في بَيان مَوقِع هذا التَّعقيب–: (جُمْلة مُسْتَأنفة سيقت لتقرير النَّهيِّ، وتأكيد وجوب العمل ببيان خلاص المُكْرَهات مِن عقوبة المُكْرِه)[1].

والغرض مِن هذا التَّعقيب: بَيان وَعْدِ الله تعالى المُكْرَهاتِ على الزِّنا بالمغفرة والرحمة؛ إذ هُنَّ يُرِدْنَ العِفّة، ووعيدِه ﷻ الشديد لِمَن أَكْرَهَهُنَّ على ذلك الفِعلِ القبيح.

قال الطيبي: (وعيدٌ شديد، وتهديدٌ عظيمٌ للمُكْرِه. وذلك الغُفْران والرحمة تعريضٌ. ويُؤيِّد إيراد الجزاء على سَنَن الإخبار والإطناب بذكر "مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ" يعني: انتبهوا أيها المُكْرِهون، أنهن – مع كونهن مُكْرَهاتٍ بِنَحو القَتْل وإتْلاف العَضْو– يُؤاخَذْنَ على ما أُكْرِهْنَ لولا أن الله غفورٌ رحيمٌ فيتجاوز عنهن، فكيف بمَن يُكْرِهُهُنَ!؟ مثله: قوله تعالى: "**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" [البقرة: ١٧٣][2].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ت، ١٥٨/١٩.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق جماعة من الباحثين جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ٨٤/١١.

المبحث الثاني

التعقيب على حدث الملاعنة بين الزوجين

المُلاعَنة: مُفاعَلَةٌ، فيها دَلالةُ المُشارَكة. وهي في أَصْلِها: شَهادةٌ، وقيل: يَمِينٌ[1]. ودَلالتُها: (الْكَلِمَاتُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي يُلَقَّنُهَا الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ عِنْدَ قَذْفِهِ إِيَّاهَا، وَهِيَ قَوْلُ الزَّوْجِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ بِاَللَّهِ أَنِّي لَمِنْ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَيْتُهَا بِهِ مِنْ الزِّنَا، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إنْ كَانَ مِنْ الْكَاذِبِينَ. وَقَوْلُ الزَّوْجَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ بِاَللَّهِ إنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَانِي بِهِ مِنْ الزِّنَا وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ)[2]. وهي شريعة حكيمة، غايتُها: (حِفْظُ الأَنْسابِ، ودَفْعُ المَعَرَّةِ عن الأَزْواج)[3]. وقد وقعت أول مُلاعَنَة في الإسلام في السنة التاسعة من الهجرة حيث نزل القرآن ببيان حُكْمِها.

وفي هذا المبحث نذكر هذه الحادثة، ودلالة الآيات الواصفة حُكْمَها مبيناً سبب نزولها ودلالة التَّعْقيب عليها.

قال – تعالى–: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠) } الآيات: [النور:٦–١٠].

---

(١) تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا: يحيى بن زكريا النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق ط١، ١٤٠٨هـ، ص٢٧٢.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل: عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م، ٧/١٠٦–١٠٧.

(٣) المصدر السابق.

المطلب الأول: المدلول وملابسات النزول:

بَيَّن الله تعالى حُكْمَ الشَّريعة في من قَذَفَ زوجتَه بفاحشة الزِّنا، ولم يكن له ولا معه شاهِدٌ إلا نفسُه، وكان يُطْلَبُ من القاذف أن يأتيَ بأربعة شهداء، وإلا يُجْلَد حَدّاً. قال – تعالى–: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[النور:٤].

وفي هذه الآيات بَيَّنَ سبحانه أن الذي يَرْمي زوجتَه بالزنا دون أن يكون معه بَيِّنة عليه أن يَشْهَدَ أربع شهادات بالله على صدقه، ويقول في الخامسة: "أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ"، وعلى المرأة أن تَشْهَدَ أربع شهادات بالله تعالى: أنَّه كاذبٌ فيما رَماها به، وأنَّها مِن ذلك بَراء. والشهادة الخامسة: "أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا" إن كان فيما رماها به صادقاً. بهذا تَدْرَأُ عن نفسِها عُقوبةَ الزِّنا. وما كان هذا التَّشْريع الرَّبّاني بهذه الصورة إلا فضلاً من الله تعالى على عباده ورحمته بهم؛ لأنه سبحانه الحكيم في شرعه الذي شرع؛ صيانةً للعِرْضِ، وحماية للمجتمع(١).

(وفي التَّعبيرِ عن التَّقَوُّهِ بما قالُوا في حَقِّهِنَّ بالرَّمي المُنْبِئ عن صَلابةِ الآلةِ، وإيلامِ المَرْمِيِّ، وبُعْدِه عن الرّامِي؛ إيذانٌ بشِدَّةِ تَأْثيرِه فيهِنَّ، وكَوْنِهِ رجماً بالغيبِ والمرادُ به رميهنَّ بالزِّنا لا غير)(٢). وغاير سبحانه في التَّعْبير بَيْن الشَّهادة الخامسة عند المُتَلاعِنَيْن، فقال في جانب الزوج: "أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ". وقال في جانب الزوجة: "أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ"؛

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط،ت، ١٠/٤.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط،ت، ١٥٧/٦.

(لِأَنَّ النساء يستعملن اللعْنَ كثيراً كما وَرَدَ به الحديث[1] فربما يجْتَرِئْنَ على الإقْدام؛ لِكَثْرَة جَرْيِ اللعْن على ألسنتهن، وسُقوطِ وقوعِه عن قلوبِهِن، فذكر الغَضَبَ في جانبِهِن؛ ليكون رادعاً لهن)[2].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما أخرجه الشيخان: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، (أَنَّ عُوَيْمِرًا، أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلاَنَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلا؟، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَسَائِلَ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ المَسَائِلَ وَعَابَهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ القُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ. فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالمُلاعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَلاَعَنَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا فَطَلَّقَهَا، فَكَانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي المُتَلاعِنَيْنِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ، أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ، فَلا أَحْسِبُ

---

(١) هو قوله ﷺ : ("يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ") الجامع الصحيح، أبو عبد الله: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم: ٣٠٤، ٦٨/١. والجامع الصحيح أبو الحسين: مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، حديث رقم: ١٣٢ ٨٦/١.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات: عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف بديوي دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٤٩٠/٢.

عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا. فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ. فَكَانَ – بَعْدُ– يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ)[1].

المطلب الثاني: التعقيب على الآيات الكريمة:

اشتملت هذه الآيات الكريمة على حدث وتعقيب. أَمّا الحدث فقد تقدمت الإشارة إليه في المطلب السابق. وأَمّا التعقيب عليه فكان في قوله – تعالى–: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ".

ومَوقِع هذا التعقيب: اسْتِئنافٌ تذييلي لما سبق. وفي الآية على ما قال أبو السعود: (التفاتٌ مِن الغَيْبة إلى خطابِ الرّاجين والمَرْمِيّاتِ بطريقِ التَّغليبِ لِتَوْفِيَةِ مَقامَ الامْتِنانِ حقَّه)[2].

والغرض من هذا التعقيب: بيانُ فضلِ الله تعالى ورحمتِه فيما شَرَع لعباده في مِثْل هذا الحَدَث، وأَنَّه تَشْريع يَهْدِفُ إلى السَّتر والتلطف بِعَبَاده بعدم فضيحتِهم وإبرازِ عوراتِهم للناس. قال الطبري: (ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عَوّاد على خَلْقِه بلُطْفِه وطَوْلِه، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعُقوبة على معاصيكم، وفَضْحِ أهل الذنوب مِنكم بذنوبهم ولكنه سَتَر عليكم ذنوبَكم، وتَرَكَ فضيحتَكم بها عاجلا؛ رحمة مِنه بكم، وتَفَضُّلا عليكم، فاشْكروا نعَمَه، وانتَهُوا عن التَّقَدُّم عما عنه نهاكم من معاصيه)[3].

ومن الأغراض الكامنة في هذا التَّعقيب بيان أنه سبحانه تواب على عباده، أي: كثير التَّوْب عليهم. دَلَّ على هذا المعنى: التَّعبيرُ بصيغة المبالغة "تَوّاب"

---

(١) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ ﷻ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}، حديث رقم: ٤٧٤٥، ٩٩/٦، واللفظ له. والجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب اللعان، حديث رقم: ١٤٩٢، ١١٢٩/٢.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٥٩/٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١١٥/١٩.

على زِنَةِ فَعَّال. وهذا مِن شأنه أن يُغْرِيَ العبد العاصي على الرجوع عن المعصية، والتَّوْبة مِنها قَبْلَ أن يُعلَم أمرُه، ويُرْفَع إلى الحاكم. قال الطِّيبي: ومِن فَضْلِه ورحمته سبحانه: (كَوْنُه تَوّابًا إذا حصلت التَّوْبة قَبْل الرَّفْع إلى الإمام يتوب عليكم، ويستره عليكم)(١).

ومن جملة الأغراض – أيضا في هذا التَّعقيب–: تأكيد ما أراد الله ﷻ من التَّفريج عن عباده ودَفْع العَنَت عنهم بهذا التشريع الحكيم، وفي هذا يقول ابن كثير: (ذَكَرَ تَعَالَى لُطْفَه بخَلْقِه، ورَأْفَتَه بهم، في شَرعِه لَهُمُ الْفَرَجَ وَالْمَخْرَجَ مِنْ شِدَّةِ مَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ، فَقَالَ: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ"، أَيْ: لَحَرِجْتُمْ، وَلَشَقَّ عَلَيْكُمْ كَثِيرٌ مِنْ أُمُورِكُمْ)(٢).

وقد حُذِفَ من هذا التَّعقيب جوابُ "لَوْلا" التي في صَدْر الآية، وقَدَّرَه العلماء تَقْديرات مُتَقاربة. قال أبو السعود: (جوابُ لولا محذوفٌ؛ لِتَهْويلِه، والإشْعارِ بضيق العبارة عن حصْرِه: كأنَّه قيل: ولولا تَفَضُّلُه تعالى عليكم ورحمتُه وأنَّه تعالى مبالغٌ في قَبولِ التَّوبةِ حَكِيمٌ في جميعِ أفعالِه وأحكامه التي من جملتها ما شرعَ لكُم من حكمِ اللِّعانِ لكانَ ما كانَ مما لا يحيطُ به نطاقُ البيانِ)(٣).

---

(١) فتوح الغيب، الطيبي، ٣١/١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٥/٦.

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٥٩/٦.

المبحث الثالث

التعقيب على حادثة الإفك

حَمى الله – تعالى– المجتمع الإسلامي بطائفة من التشريعات التي من شأنها أن تَحفَظ الأعراض والنفوس والممتلكات وغير ذلك؛ لذا فقد كان من جملة ما حرَّم سبحانه الإشاعة، والقول بغير علم، فقال ﷻ: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:٣٦].

وقد روت لنا كُتُب السيرة النبوية أن حادثة ما وقعت في سيرته ﷺ آذت بيت النَّبُوَّة؛ حيث رمى المنافقون أُمَّ المؤمنين: عائشة رضى الله عنها بالزنا. وخاض الناس في هذا الأمر فهلك مَن هلك، ونجا مَن نجا. فأنزل الله – تعالى– براءةَ أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها، وجعل ما أنزله شريعةً تُتْلى إلى يوم القيامة.

قال – تعالى–: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)} الآيات:[النور:١١–٢٠].

المطلب الأول: المدلول وملابسات النزول.

الإفك: (أشد الكذب. قال – تعالى-: {وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}[العنكبوت:١٧]، وأصله: من الصَّرْفِ؛ لأن الكذب صرف الكلام عما ينبغي أن يكون عليه. والإفك: صرف الشيء عما يحق أن يكون عليه. قال تعالى: {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [الأنعام:٩٥]، أي: تُصْرَفون عن وجه الصواب)[(١)].

وفي هذه الآيات الكريمة يخاطب الله سبحانه المؤمنين مبيناً لهم أن الذين افتروا على أم المؤمنين رضى الله عنها، وقذفوها بالزنا هم جماعة من المؤمنين ظاهراً، ولكنهم المنافقون في حقيقة الأمر؛ فإنه لا يَجْرُؤ أحد على مثل هذه القبائح إلا مَن خَلا قَلبُه من الإيمان، وتعظيم الرسول ﷺ ، ومراعاة حرمة المؤمنين، وهذا الوصف لا يكون إلا في المنافقين. ثم هَوَّنَ الله على المؤمنين مَشَقَّة هذا الأمر، وعاتَبَ الذين خاضوا منهم في حديث الإفك، وأرشدهم إلى إرشادات كان عليهم أن يَتَّبِعوها؛ لِتَسْلَمَ أفعالهم وأقوالهم من المخالفة والمعصية.

فقد بين سبحانه للمؤمنين أن ما حصل هو خير وإن كان في ظاهره شر؛ فبه يمتاز المؤمنون مِن غيرهم. وذَكَرَ أن مُثيري هذه التُّهْمة هم عِصابة مِن المنافقين ائْتَمَروا بِأَمْر كبيرِهِم عبدِ الله بن أُبَي بن سلول الذي أَعَدَّ الله له عذاباً عظيماً.

ثم عاتَبَ الله المؤمنين بأن الأصل أن يُنْزِل كل واحد منهم أخاه بمنزلة نفسه، وأن يُحْسن فيه الظَّنَّ، ويُنْكِر هذا بلسانه. وأن المُؤْتَفِكين كاذبون عند الله؛ لأنهم لم يأتوا على مَقالَتِهم الشنيعة بأربعة شهداء حسب ما قررته الآيات الكريمة في هذا الشأن. وَذَكَرَ – سبحانه أيضا– ضرورة أن يَصونَ المؤمنون سَمْعَهم وأبصارهم وألسنتهم عن الخوض في ما خاض فيه المنافقون، وأن لا يَتَناقلوه في

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس: أحمد بن يوسف (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٩٧/١.

ما بينهم؛ فإن ذلك يُوْسِع دائرة الإشاعة، ويزيد في سوء المَقالة، وأنه لولا فضل الله تعالى ورحمته لأصاب الخائضين في الإفك عذاب عظيم في الدنيا والآخرة.

وفي الآيات تهديد مَن يُحِبُّ أن تَشِيعَ الفاحِشةُ في المؤمنين، فكيف بالذين اخْتَلَقوها أصلا، ثم نَشَروها كذباً وزورًا!

وفي سبب نزول هذه الآيات الكريمة روايات متعددة، منها ما أخرجه الشيخان عن عائشة أم المؤمنين I قالت: (كان رسول اللَّه ﷺ إذا أراد أن يَخْرُج أَقْرَعَ بين أزواجه. فأيتهن خرج سَهْمُها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجْتُ مع رسول اللَّه ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ في هَوْدَجي، وأُنْزَلُ فيه. فسِرْنا حتى إذا فَرَغَ رسول اللَّه ﷺ مِن غَزْوَتِه تلك، وقَفَلَ، ودَنَوْنا من المدينة قافلين، آذَنَ ليلة بالرحيل، فقمْتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رَحْلي، فإذا عقد لي من جَزْع ظَفَار قد انقطع، فالْتَمَسْتُ عقدي، وحَبَسني ابْتِغاؤُهُ، وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلون لي، فاحْتَمَلوا هَوْدَجي، فرَحَّلوه على بعيري الذي كنت رَكِبْتُ وهم يحسبون أني فيه. وكان النساء إذ ذاك خِفافًا لم يُثْقِلُهُنَّ اللحم؛ إنما تأكل العلقة من الطعام، فلم يسْتَنْكِر القوم خِفَّةَ الهَوْدَج حين رفعوه، وكنت جارية حَديثة السِّنِّ، فبَعَثوا الجَمَلَ، وساروا. فوَجَدْتُ عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت مَنازِلَهم وليس بها دلّ ولا مُجيب، فأممت منزلي الذي كنت به، وظَنَنْتُ أنهم سَيَفْقِدوني؛ فيَرْجِعون إليَّ.

فبينا أنا جالسة في منزلي غَلَبَتْني عيني؛ فَنِمْتُ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني مِن وراء الجيش؛ فَأَدْلَجَ، فأصبح عند منزلي، فرأى سَوادَ إنسان نائم، فأتاني، فعَرَفَني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرْجاعِه حين عَرَفَني، فخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي، والله ما كَلَّمَني كلمة، ولا سَمِعْتُ مِنه كَلِمَة غير اسْتِرْجاعِه، حتى أَناخَ راحِلَتَه فوَطِئَ على يَدَيْها فرَكِبْتُها. فانطلق يقود بي

الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نَحْر الظَّهيرة. فهَلَكَ مَن هَلَكَ، وكان الذي تَوَلّى الإفْكَ عبد اللَّه بن أُبَي ابن سلول، فقَدِمْنا المدينة، فاشتكيت حين قَدِمْتُ شهراً، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أَشْعُر بشيء من ذلك، وهو يَرِيبُنِي في وجعي أني لا أعرف مِن رسول اللَّه ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدْخُل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: "كيف تِيْكُمْ؟". ثم يَنْصَرِف، فذاك الذي يريبني، ولا أَشْعُر، حتى خَرَجْتُ بعدما نَقَهْتُ، فخَرَجَتْ معي أم مسطح قِبَلَ المناصع، وهو مُتَبَرَّزُنا، وكنا لا نَخْرُج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نَتَّخِذَ الكُنُف قريبًا مِن بيوتنا، وأَمْرُنا أمْرَ العرب الأول في التَّبَرُّز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقتُ أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلتُ أنا وأم مسطح قِبَل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مِرْطِها، فقالت: تَعِسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أَتَسُبّين رجلاً شَهِدَ بدرا! قالت: أي هنتاه، أَوَلم تسْمَعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي.

فلما رجعْتُ إلى بيتي، ودخل علي رسول اللَّه ﷺ فَسَلَّم. ثم قال: "كيف تِيكُم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبَوَيّ؟ قالت: وأنا – حينئذٍ– أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلِهما، قالت: فأذن لي رسول اللَّه ﷺ فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بُنَيّة، هَوِّني عليك، فوالله لقَلَّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كَثُرْن عليها. قالت: فقلت: سبحان اللَّه! ولقد تَحَدَّثَ الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول اللَّه ﷺ عَلِيَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فأَشارَ عَلى رسول اللَّه ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الوُدِّ، فقال: يا رسول اللَّه، أَهْلُكَ، وما نعلم إلا خيراً. وأَمّا عَلِيّ بن أبي طالب

فقال: يا رسول اللَّه، لم يُضَيِّق اللَّه علَيك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تَصْدُقْك، قالت: فدعا رسول اللَّه ﷺ بَريرة، فقال: "أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟). قالت بَريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الدّاجِن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستغدر يومئذ مِن عبد الله بن أُبَي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين، مَن يعذرني مِن رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما عَلِمْتُ على أَهْلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما عَلِمْتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي".

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضَرَبْتُ عُنُقَه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمَرْتَنا ففعَلْنا أمرَك.

قالت: فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احْتَمَلَتْه الحَمِيّةُ، فقال لسعد: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، لا تَقْتُلَه، ولا تَقْدِر على قَتْلِه. فقام أُسَيد بن حُضَير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّه، فإنك مُنافِقٌ؛ تُجادِل عن المنافقين. فتَثاوَرَ الحَيّان: الأوس والخزرج حتى هَمّوا أن يقتتلوا، ورسول اللَّه ﷺ قائم على المنبر، فلم يَزَل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فَمَكَثْتُ يَوْمِي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أَكْتَحِلُ بنَوْم، قالت: فأصبح أَبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا، لا أَكْتَحِلُ بنَوْم، ولا يرقأ لي دمع، يَظُنّان أن البكاء فالق كَبِدي، قالت: فبينما هُما جالسان عندي وأنا أبكي، فاسْتَأذَنَتْ عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لَبِثَ شهراً لا يوحى إليه في شأني. قالت: فتَشَهّدَ رسول اللَّه ﷺ حين جلس، ثم قال: "أَمّا بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا،

فإن كنت بريئة فسيبرئك اللَّه، وإن كنت أَلْمَمْتِ بذنب فاستغفري اللَّه، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى اللَّه تاب اللَّه عليه".

قالت: (فلما قضى رسول الله ﷺ مَقالَتَه قَلُصَ دمعي، حتى ما أُحْسِن منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول اللَّه ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول اللَّه ﷺ قالت: ما أدري ما أقول لرسول اللَّه ﷺ : قالت: فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني واللَّه لقد عَلِمْتُ: لقد سَمِعْتُم هذا الحديث حتى اسْتَقَرَ في أنفسكم وصَدَّقْتُم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، واللَّه يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، واللَّه يعلم أني منه بريئة لتصدقني، واللَّه ما أَجِد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). قالت: ثم تَحَوَّلْتُ فاضْطَجعْتُ على فراشي. قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئة، وأن اللَّه مُبَرِّئي ببراءتي، ولكن واللَّه ما كنت أظن أن اللَّه مُنْزِل فِي شأني وَحْيًا يُتْلى، ولَشَأْنِي في نفسي كان أَحْقَرُ من أن يَتَكَلَّم اللَّه فِيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول اللَّه ﷺ في النوم رؤيا يبرئني اللَّه بها. قالت: فوالله ما رام رسول اللَّه ﷺ ، ولا خَرَجَ أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي ينزل عليه. قالت: فلما سُرّيَ عن رسول اللَّه ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: (يا عائشة، أما اللَّه –عَزَّ وَجَلَّ– فقد برأك). فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: واللَّه لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله ﷻ، وأنزل اللَّه: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ) العشر الآيات كلها)[1].

(١) الجامع الصحيح، أبو عبد الله البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، حديث رقم:٢٦٦١ ١٧٣/٣. والجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم:٢٧٧٠، ٢١٢٩/٤.

المطلب الثاني: التعقيب على الآيات الكريمة:

اشتملت الآيات الكريمة على سبعة تعقيبات، ولكل تعقيب موقع في النَّظم، وغرض في الدلالة.

التَّعقيب الأول: وهو في قوله تعالى: "لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (١١)

في هذا التعقيب ثلاثة مقاطع. يصلُح كل مقطع منها أن يكون تعقيبا مستقِلا؛ لوُروده على طريق الاستئناف، كأنه يقرر قضيةً جديدة. والمقاطع الثلاثة المذكورة ههنا ترتبط بالآية التي ذَكَرَت الحَدَث ارتباطاً وثيقاً؛ لأنها جاءت بمَثابة التَّعليق عليه.

المقطع الأول: قوله سبحانه: "لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"

والغرض من هذا المقطع: تَسْليةُ آلِ بيت النُّبُوّة، وآلِ أبي بكر، وآل صفوان بن المعطل الذين تَأَذَّوْا بحديث الإفك: حيث يُخْبِرُهم الله – تعالى– أن هذا الحدث الذي ظاهره الشَّر والسُّوء كما يَراه عامّةُ الناس هو لكم ليس بِشَرّ، ولا هو بِسوء، بل هو خيرٌ لكم. وهكذا شأن المصائب والبلايا للمؤمن: ظاهرُها الشَّرُّ والعذاب، وباطِنُها الخير والرحمة؛ لذا قال: "بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"، حيث أكرمكم الله بإنزال براءتِكم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ورفع به ذِكْرَكم في العالمين، وأَثْنى عليكم بأن جعل لكم لسان صدق في الأولين والآخرين[١].

ويلاحظ في نَظْم هذا المقطع أنه كرر كلمة "لَكُمْ" وذلك عند نَفْي الشَّرِّ، وإثبات الخير؛ للدلالة على مزيد عناية بخطابهم المباشر؛ تشريفاً لهم أن يحظوا بخطاب الله تعالى لهم.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٢٥.

وعَطَفَ الجُملتَين بأداة العطف: "بَلْ" التي تفيد الإضراب الانتقالي، وكأن المعنى: أيها المخاطبون، ليست كرامتكم بنفي الشر الواقع بهذا الحدث فقط، بل يزيد على ذلك أنه خيرٌ لكم. وكأنه صار مطلوباً لكم لو علمتم ما فيه من الخيرية.

وعبر عن نفي الشَّرِّ بالفِعْل فقال: "لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا"، وعن إثبات الخير بالجملة الاسمية: "هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"، ولا يخفى أن التعبير بالاسم وجملته يدل على الثبات. وكل ذلك في النَّظْم الكريم يؤكِّد أن حدث الإفك كان من أغراضه تكريم وتشريف آل بيت النَّبيّ ﷺ ، وآل أبي بكر وصفوان بن المعطل ﷺ[1].

المقطع الثاني: قوله – سبحانه: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ".

والغرض من هذا المَقطَع: بيان ما أعَدَّ الله تعالى من العذاب والجزاء لكل مَن خاض في الإفك. وقوله: "مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ" أي: (جزاء ما اكتسب من الإثم في الدنيا، وهو لغير عبد الله ابن أُبَي؛ فإنهم قد حُدُّوا حد القذف وَعَمِيَ حسان، وشُلَّتْ يدُه في آخِر عُمُرِه. وَعَمِيَ مسطح أيضا. أو في الدنيا والآخرة، وهو لابن أُبَي: فعذبه بِخِزي الدنيا، والخلود في النار)[2].

المقطع الثالث: قوله ﷻ: "وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ"

والغرض من هذا المقطع: بيان أن مَن توَلّى الخوض في هذا الحديث الشنيع في معظمه له عذاب عظيم. وكذلك حال كل مَن شابهه في فعله. وقد اختلف المفسرون في تحديد المراد بهذا المقطع من الآية هل هم الخائضون في الإفك كلهم كحسان ومسطح وحمنة وعبد الله بن أُبَيّ بن سلول؟ وحينئذ يُحمَل

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ١٧٢/١٨.

(٢) حاشية الصاوي على الجلالين، أحمد الصاوي (ت١٢٤١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط،ت ١٠٩/٢.

التعبير "بالذي" على معنى "الذين"[١] أو المراد به عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول وحده؟ وهذا هو الأَوْلى بالصواب كما قال الطبري[٢].

ومن الأغراض كذلك: أن عقوبة الخائضين في مسائل الأعراض – ولا سيما عرض بيت النُّبُوَّة – عقوبةٌ عظيمة. وقد فُهِمَ ذلك من وصف العذاب بالعظمة. وفيه أيضاً أن حجم العقوبة يزداد بازدياد حجم الجريمة. وقد فُهِمَ هذا من أن العذاب العظيم هو لمَن تَوَلّى كِبْرَ حديث الإفك، أي: مُعْظَمه، وأشده، على ما قاله أبو عبيدة مَعمَر بن المُثنّى[٣].

التعقيب الثاني: وهو في قوله – تعالى–: "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ" (١٢).

وهذا التَّعقيب مُسْتَأْنف آخر مُتَضَمِّن بعض الزواجر والآداب التي يجب الالتزام بها، والكف عن ضدها.

والغرض منه: بيان أن المؤمنين لُحْمَة واحدة، ونفس واحدة، فلا يَظُنُّ الواحد منهم بأخيه المؤمن إلا الظَّنَّ الحسن تماماً كما يظن بنفسه؛ لذلك جاء التعبير عن هذا بقوله: "ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا" أي: ظن بعضهم ببعض ذلك لأنهم بِمَثابة النفس الواحدة[٤].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي (ت٦٩١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.٤/١٠٠، بتصرُّف.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ١٩/١٢٠.

(٣) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ، ٢/٦٤.

(٤) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله: محمد بن عمر بن الحسن الرازي(ت٦٠٦هـ)، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ ٢٣/٣٤١، بتصرُّف.

قال – صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى–: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(١).

وفي قوله – تعالى–: "وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ" عطْفٌ على ما سبق. أي: كان الواجب على المؤمنين أمرين: الأول: الظَّنّ الحسن بإخوانهم. والثاني: استنكار ما سمعوه باللسان، والجزم بأنه كذب واضح؛ لأن المقذوف هنا من المؤمنين، بل من أَشْرفِهم؛ فَيَصِحّ الجَزْم بذلك؛ بناء على مكانة المَقْذوف، وما عُرِفَ عنه من تَدَيُّن، وُحْسن سِيرة. وهكذا يجب أن تُقاس الأمور في سائر المؤمنين.

ويُلاحَظ في هذا التَّعقيب أن إنْكار المُنْكَر، والكذب على مَن نُحْسِن فيهم الظَّنّ يجب أن هناك عملٌ باطني يوافقه عملٌ ظاهري.

ومن أغراض هذا التَّعقيب كذلك: نصيحة المؤمنين بعدم التَّسرُّع بالحكم على الأشياء قبل تمام معرفة حقيقتها؛ لِئَلّا يندموا. قال – سبحانه–: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات:٦].

ويُلاحَظ في صياغة هذا التَّعقيب: أنه لم يَكْتَفِ بذكر المؤمنين وحدهم، بل عَطَفَ عليهم المؤمنات؛ لخطورة الموضوع، وضرورة التفصيل في ما يجب فيه على المؤمنين: ذكوراً وإناثاً.

التَّعقيب الثالث: وهو في قوله – تعالى–: "لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ" (١٣).

---

(١) الجامع الصحيح، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٢٥٨٦، ١٩٩٩/٤. والجامع الصحيح، البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٦٠١١ ١٠/٨، بلفظ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى.

ومَوْقِع هذا التَّعقيب: اسْتِئْناف بعد اسْتِئْناف مُتَعلِّق بأصل الموضوع، وهو الحديث عن الإفك، غير أنه يختلف عن الاستئناف السابق بفَحْواه، وبالمقصودين به. فالاستئناف السابق: كان خطاباً للمؤمنين، وعِتاباً لهم على موقفهم من حادثة الإفك. وفي الاستئناف الثاني: حديث عن الخائضين في ذلك الحديث القبيح.

والغرض من هذا التَّعقيب: توبيخ الخائضين في حديث الإفك؛ ولم يأتوا بأربعة شهداء فاستحقوا أن يوصفوا بأنهم كاذبون. وفي هذا الغرض: تحذير للمؤمنين من أن يفعلوا فعل أولئك الكاذبين. ومن أغراض هذا التَّعقيب – أيضا: بيان أن الذي لا يأتي بأربعة شهداء على إثبات الزنا فهو عند الله من الكاذبين؛ عملاً بمنطوق هذه الآية، وتفعيلاً للشرع الحنيف في هذه المسألة. وجاء التَّعبير بقوله: "فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ" للمُبالَغة في وصْفِهم بذلك الكذب والفساد. قال ابن عاشور: (وَصِيغَةُ الْحَصْرِ فِي قَوْلِهِ: "فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ" لِلْمُبَالَغَةِ؛ كَأَنَّ كَذِبَهُمْ لِقُوَّتِهِ وَشَنَاعَتِهِ لَا يُعَدُّ غَيْرُهُمْ مِن الْكَاذِبِينَ كَاذِبا. فَكَأَنَّهُم انْحَصَرَتْ فِيهِمْ مَاهِيَّةُ الْمَوْصُوفِينَ بِالْكَذِب. وَاسْمُ الْإِشَارَةِ لِزِيَادَةِ تَمْيِيزِهِمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِيَحْذَرَ النَّاسُ أَمْثَالَهُمْ)[1].

التَّعقيب الرابع: وهو في قوله – تعالى–: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (١٤)

ومَوقِع هذا التَّعقيب: قيل: عطف على (لولا) السابقة بأداة العطف الواو[2]، والرّاجح أن الواو: استئنافية لا عاطفة؛ لقيام الفصل بين هذه الجملة المعطوفة وبين جملة (لولا) الأولى المعطوف عليها بفاصل أجنبي مستأنف كما تقدم وهو قوله – تعالى–: "لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ". الآية.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧٦/١٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو الحسن: إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٩٥م، ٥/ ٢٤٣، بتصرُّف.

والغرضُ من هذا التَّعقيب: بيان سَعَة فَضْل الله ﷻ ورحمته بالمؤمنين الخائضين في حديث الإفك، وبالذين صَمَتوا دون أن يستنكروا ما سمعوه، وهم المُشار إليهم بقَوله ﷻ: "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ" بإقامَة الحَدِّ على الخائضين. وقَبول تَوْبتهم بعد ذلك. وتَوْبة الصّامتين دون استنكار. لولا ذلك كله الذي هو من فَضْل الله ورحمته لَأَصاب المؤمنين عذاب عظيم لا يُدْرى شَكْلُه، ولا يُعْرَف حَجْمُه. ولكان هذا العذاب عامًّا في الدّارَيْن(١).

التَّعقيب الخامس: وهو في قوله – تعالى–: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ" (١٥)

مَوْقعُ هذا التَّعقيب: مُتَعلِّق بالآية التي قَبْلَه. وتَحْديداً بقوله – سبحانه–: "لَمَسَّكُمْ"، والتَقْدير: لَمَسَّكُم عذاب عظيم وَقْتَ تَلَقِّيْتُم الخَبَرَ بعد سؤالِكُم عنه، وعرَفْتُموه بعد طَلَبِكُم إيّاه حتى صار حَديثَ المَجالِس؛ فإنَّ "إِذْ": ظَرْف لِما مَضى مِن الزّمان.

والغَرَضُ مِن هذا التَّعقيب: (عِتابٌ لهم على خَوْضِهم في حَديثِ الإفْك، وإن كانوا لم يُصَدِّقوه. فإن الواجب كان الإغْضاء عن ذَكْرِه، والتَّرْك له بالكُلِّيَّة. فعاتَبَهم على ثلاثة أشياء، وهي: تَلَقِّيه بالأَلْسِنة، أي: السُؤال عنه، وأَخْذه مِن المَسْؤول. والثاني: قولهم ذلك. والثالث: أنهم حسبوه هَيِّنا وهو عند الله عظيم. وفائِدةُ قوله (بألسنتكم وبأفواهكم): الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب، إذ كانوا لم يَعْلَموا حقيقته بقلوبهم)(٢).

---

(١) المصدر السابق، بتصرُّف.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط،ت، ٢/٦٣-٦٤.

التَّعقيب السادس: وهو في قوله – تعالى–: "وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (١٦)

جاء في مَوْقَع هذا التَّعقيب: القول بأنه اسْتِئناف جديد مُتَعَلِّق بالحدث المذكور(١).

وقيل: الآية الكريمة كلها (عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ: "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ"(١٢) إلخ. وَأُعِيدَتْ "لَوْلَا" وَشَرْطُهَا وَجَوَابُهَا؛ لِزِيَادَةِ الِاهْتِمَامِ بِالْجُمْلَةِ. فَلِذَلِكَ لَمْ يَعْطِفْ "قُلْتُمْ" الَّذِي فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى "قُلْتُمْ" الَّذِي فِي الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا؛ لِقَصْدِ أَنْ يَكُونَ صَرِيحًا فِي عَطْفِ الْجُمَلِ)(٢).

والغَرَضُ مِن هذا التَّعقيب: (عِتابٌ لجَميع المؤمنين، أي: كان ينْبغي عليكم أن تُنْكِروه، ولا يَتَعاطاه بعضُكم مِن بَعْض على جِهَة الحِكاية، والنَّقْل، وأن تُنَزِّهوا الله تعالى عن أن يقع هذا مِن زوج نبيه عليه السلام، وأن تَحْكُموا على هذه المَقالة بأنها بُهْتانٌ. وحَقيقةُ البُهْتان: أن يُقال في الإنسان ما ليس فيه. والغيبة: أن يُقال في الإنسان ما فيه)(٣).

والفَرْقُ بَين هذا التَّعقيب وبين التَّعقيب الذي عُطِف عليه: أن الأول، وهو المَعطوف عليه: عِتابٌ على أنَّ المؤمنين تَرَكوا إِحْسانَ الظَّنَّ بإخوانِهم، ولا سيما أنَّ بَيْنَهم زوجة نبيِّهِم صلى الله عليه وسلم. والظَّنُّ: أَمْرٌ قَلْبي. وأما الثاني فهو عِتابٌ على عَدَم القَوْل بالبراءة المُطْلَقة، بل وتَرْك التَّعَجُّب مِن أن يكون هذا وهو البهتان الذي لا أَصْل له.

---

(١) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الأرمي، ٢٨٣/١٩، بتصرُّف.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٧٩/١٨.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ١٧١/٤.

التَّعقيب السابع: وهو في قوله ﷻ: "يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" الآيتان: (١٧-١٨).

جاء في بَيان مَوْقِع هذا التَّعقيب: أنَّه اسْتِئْناف[١]. والأَحْسَن: أن يكون استئنافاً بَيانيًّا: يكون جواباً عن سؤالٍ ينشأ في الذهن بعد قراءة الآيات المُتَقَدِّمة، وكأن المَعنى: لماذا كل هذا الزجر الشديد، والعِتاب الكَثير؟ فيأتي الجواب: "يَعِظُكُم أَن تَعودوا لِمِثْلِهِ"، أي: إنَّ هذا العِتاب والزَّجر إنّما مِن أَجْل أن لا يَتَكَرَّر الأَمْر فيكم. وحتى لا تَعودوا لِحَديث إِفك مِثلِه في حَقّ أي مُؤمِن أو مؤمنة أبدا، أي: إلى يوم القيامة. والآية الأخرى: داخلة في سياق هذا التَّعقيب بالعطف.

والغرض من هذا التعقيب: هو حَثٌّ للمؤمنين على الاتِّعاظ بما حصل، والاستفادة من هذا العِتاب؛ لأن مِن شَأْنِ المؤمن أن يحترز عن كل ما يَشينُه. ولا شك في أن تَناقُل الكلام – ولا سيما في الأَعراض– بغير دليل أَمْر يَشينُ الإيمان، ويُعَكِّر بَشاشتَه؛ لذا قال ﷻ: "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ". وهذا كما قال أبو حيّان: تَهْييجٌ للمُخاطبين بِذِكْر صِفة الإيمان فيهم، وأنها صفة نَقيّة، فحافظوا عليها مِن أن يُخالِطَها ظَنٌّ سَيئ، أو قول بغير علم في أمر خطير[٢].

وكذلك فإن مِن أَغراض هذا التَّعقيب: زَجْر الخائضين في حديث الإفك، والمبالغة في ذلك الزجر؛ لِئلا يعودوا لِمِثْله أبدا. والوعظ في أصل اللغة: التَّذْكير بالخَيْر فيما يَرِقُّ له القلب[٣]. ويجوز أن يكون (زَجْراً مُقْتَرِناً بالتَّخْويف)[٤].

---

(١) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للأرمي، ٢٨٤/١٩.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٠٣/٦، بتصرُّف وزيادة.

(٣) انظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.٢٢٨/٢.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٩٧م، ص: ٥٢٧.

ومِن الأَغْراض كذلك: بَيان عادة الله ﷻ حين يَعِظ عبادَه بِأمْر ما أن يُبَيّن لهم ذلك بالآيات؛ لِيُؤمنوا، وَيَتَيَقّنوا أَنّه ﷻ عَليم بأَحوالهم الباطِنة والظّاهرة، وبما يَصْلُح لهم، وأنه حكيم فيما يَشْرَع لهم، وفيما يُبَيِّن مِن المَواعظ النافعة[1].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ١٠١/٤، بتصرُّف.

المبحث الرابع

التعقيب على أمر أبي بكر مع مسطح بن أثاثة

مِن الآداب المشروعة في ديننا أن يُحسِن الإنسان إلى مَن أَحْسَن إليه. وليس بالضرورة أن يكون ذلك الإحْسان عملاً مُؤدى، بل ربما يكون بالثناء الجميل على المُحْسِن، وشُكْرِه على ما أَنْعم به عليه. فقد أَخْرَج أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يَشْكُرُ الله مَن لا يَشْكُرُ النَّاس)[1]. وهذا من شَأْنِه أن يُحْكِمَ العلاقة بَيْن المؤمنين، وأن يَزيد في مَحَبّة بَعضِهم بَعْضاً.

ولَمّا وقعت حادثة الإفك، وخاض في نَشْرِها المُنافِقون شارَكَهم في ذلك بعض المؤمنين مِن المهاجرين: مِسْطَح بن أُثاثة، ومِن الأنصار: حسّان بن ثابت. ولَمّا أَنْزَل الله براءةَ أُمّ المؤمنين رضي الله عنها جَلَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم القاذِفِين. وكان من بينهم مِسْطَح بن أُثاثة. وكان أبو بكر مِن قبل يُنْفِق عليه؛ لِفَقْرِه. فأَمْسَكَ أبو بكر النَّفَقة عنه؛ إذ لم يَرُدّ الجميل بالجميل بل خاض مع الخائضين. وقد قال سبحانه مِن جملة الآيات التي نزلت في سياق الحديث عن أمر الإفك، وبراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة النور:٢٢].

وفي هذا المبحث نتكَلّمُ عن هذا الحدث الذي وقع في السيرة النبوية، وعن دلالة الآية الكريمة المشيرة إليه، وما جاء من التعقيب عليه.

---

(١) المسند، أبو عبد الله: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، حديث رقم: ٧٩٣٩، ٣٢٢/١٣. والسنن:لأبي داود السجستاني كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، حديث رقم: ٤٨١١، ١٨٨/٧.

المطلب الأول: المدلول وملابسات النزول:

يَنْهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة أبا بكر رضي الله عنه خاصةً، وكلَّ صاحبِ فَضْل وخير عامَّةً عن أن يَحْلِفوا أَيْماناً على قَطْع فِعْل الخَيْر، وإسْدائه إلى مَن يَسْتَحقُّه مِن الأَقارِب والمساكين والمهاجرين في سبيل الله؛ بسبب إساءة ارْتَكَبوها ضِدَّ مَن أَحْسَن إليهم، أو مَعْصية كان مِن آثارها مُقابَلَةُ جَميلَ المُحْسِنين بالبُهْتان. وأَمَرَ الله المُحْسِنين بالعفو والصفح عن أولئك المُسيئين. وبَيَّن لهم أن إدامَةَ إيصال الخَيْر إليهم، وعَدَم قَطْعِها عنهم سبب موصلٌ إلى مَغْفِرة الذنوب، ورحمة الله تعالى.

وقد ذَكَرَ الله سبحانه في هذه الآية أبا بكر بالوَصْف، لا بالاسم، فقال: "أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ"؛ تَنْبيهاً على اكْتِمال الفَضْل في أبي بكر خُلُقيّاً ودينيّاً، وإن كان أَصْل الفَضْل هو مُطْلَق الزِّيادة، ويُسْتَعْمَل –غالبا– في زيادة المال، لكن خَرَجَ اللفْظ – ههنا– عن الأَصْل، وأُريدَ به الفَضْل المَعْنوي؛ وذلك بسبب عطف كلمة "وَالسَّعَةِ" على كلمة "الْفَضْلِ"، وهي تعني الغِنى. فلا يَصْلُح التَّعاطُف بَيْن كلمتَين مختلفتَين لَفْظاً، وهما بمعنى واحد، وهو ما يُسَمّى بالتَّرادُف.

ووَصَفَت الآية الكريمة مِسْطَحاً بأنه من قرابة أبي بكر، ومن المساكين؛ لفقره، ومن الذين هاجروا في سبيل الله، ولم يُسَمِّه باسمه؛ تنويهاً بهذه الصِّفات التي من شَأْنِها أن تَحُضَّ المُحْسِن إليه على مُواصلة النَّفَقة عليه، وكأن المَعنى: لا تَحْلِف يا أبا بكر، ومَن كان على طريقتك في رِفْعة الدِّين، وسَعَة المال على أن لا تُنْفِق على مسطح القريب مِنك نَسَباً، والمُسْتحِقّ للصَّدَقة؛ بسبب فَقْرِه، وهو المُهاجِر في سبيل الله؛ طلباً رِضا الله، ولا على مَن كان على شاكلته؛ فإن مَن اتَّصَف بهذه الصِّفات يَسْتَحقّ دَوام الإحْسان إليه، ولو أَساء إليكم. فلا تَجْعَلوا لِحَظِّ النفس أَثَراً في قَطْع الخَيْر عن الخَلْق؛ فإن الله يُحِبُّ المُحْسِنين الذين يَكْظمون

غَيْظَهم، وَيَعفون عن مَن أَساء إليهم؛ طلباً رِضى الله[1]. قال – سبحانه–: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران:١٣٣–١٣٤].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما أَخْرَجَه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها: (حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرَّأها الله مما قالوا، فأنزل الله "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ". العشر الآيات كلها في براءتي فقال أبو بكر الصِّديق – وكان يُنْفِقُ على مسطح؛ لقَرابَتِه مِنه –: والله لا أُنْفِقُ على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى" الآية. قال أبو بكر: بلى، والله إني لَأُحبُّ أن يَغْفِر الله لي. فَرَجَع إلى مِسْطَح النَّفَقَة التي كان يُنْفِق عليه. وقال: والله لا أَنْزِعُها عنه أبدا)[2].

ومِن خلال سبب نزول الآية الكريمة يتضح أنه حَدَث وقع في السيرة، وهو خاص بأبي بكر ومِسْطَح، ولا يَمْنَع ذلك أن تكون الآية عامّةً إذا تَكَرَّر الحَدَث بين المؤمنين إلى يوم القيامة؛ فإن العبرة بعُموم اللفْظ لا بخصوص السبب[3].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٦٣. وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٨/١٨٨–١٩٠.

(٢) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ اليَمِينِ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ، وَفِي المَعْصِيَةِ وَفِي الغَضَبِ حديث رقم: ٦٦٧٩، ٨/٣٨، واللفظ له. وانظر: الجامع الصحيح، لمسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم:٢٧٧٠، ٤/٢١٢٩.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله: محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ١/٣٢.

المطلب الثاني: التَّعقيب على الآية الكريمة:

تُعَدُّ هذه الآية الكريمة مَحَلّاً لِذِكْر الحدث، وما جرى من أبي بكر مع مسطح ﷺ في حادثة الإفك، كما أوضَحَهُ سبب النزول. وتُعَدُّ كذلك هي بذاتها تَعْقيباً على الحدث نفسه؛ لذا جَعَلناها تعقيباً واحداً له مقطعان.

المَقْطَع الأول: وهو في قوله – تعالى–:"وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا" ومَوْقِع هذا المَقْطَع: قيل: إنه استئناف[1]، أي: أنه اسْتَأْنَف الكلام على حادثة الإفك، وما جرى عَقِبَها؛ فإن سياق الكلام في التَّعقيب عليها ينتهي حسب ما يَقْتَضيه النَّظْم القرآني عند قوله – تعالى–: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة النور:١٧–١٨]. فاسْتَأْنَف الكلام على ما فَعَلَه أبو بكر مَع مسطح ﷺ .

والغَرَضُ مِن هذا التَّعقيب – في هذا المَقْطَع–: بَيان النَّهْي عن أن يكون للنَفْس حَظٌّ في التَّوَقّف عن فِعل المَعروف، والإحْسان إلى مَن يَسْتَحقّ الإحْسان؛ فليس العَمَلُ الصّالح مَقصوداً به رِضى النّاس، بل إنما هو لِوَجْه الله تعالى. ومِن الأغْراض كذلك بيان أن من كان مَن أهل الديانة والفَضل مع سَعَةٍ في المال لا يَليقُ به أن يُقَصِّر في فِعْل الخَير حتى مع المسيئين إليه؛ فإن المقصود بفِعْلهم رِضى الله تعالى. ومِن الأَغْراض كذلك: ضرورة العَفْو والصَفْح عن المُسيء إذا تاب واستغفر فإن الله يُحِبُّ أهل العَفْو والصفح، وسَيُجازيهم مِن جِنْس عَمَلِهم، أي: سَيَعْفو عنهم ويَصْفَح. ومِن الأَغْراض كذلك: أن مَن حَلَف على شيء أن لا يَفْعَلَه ثُمَّ تَبَيَّن له أن الرُجوعَ عنه خَيْرٌ مِن البَقاء عليه فَلْيَفْعَل، وَلْيُكَفِّر عن يَمينِه. قال الشنقيطي: (إِذَا حَلَفَ لَا يَفْعَلُ أَمْرًا مِنَ الْمَعْرُوفِ كَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَنَحْوِهِ، فَلَيْسَ لَهُ الِامْتِنَاعُ مِنْ ذَلِكَ وَالتَّعَلُّلُ بِالْيَمِينِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ،

(١) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للأرمي، ٢٨٦/١٩.

وَيَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؛ لِقَوْلِهِ –تعالى–:{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[سورة البقرة:٢٢٤]، أَيْ لَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى مَانِعَةً لَكُمْ مِنَ الْبِرِّ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ إِذَا حَلَفْتُمْ عَلَى تَرْكِهَا، وَنَظِيرُ الْآيَةِ قَوْلُهُ – تعالى فِي حَلِفِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ أَلَّا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ، لِمَا قَالَ فِي عَائِشَةَ I مَا قَالَ: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[سورة النور:٢٢].

وَقَوْلُهُ ﷺ : "إِنِّي واللهِ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ– لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا»... وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فِي الْمَسْأَلَةِ) [١].

المَقْطَع الثاني: وهو في قوله – تعالى–: "أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ".

ومَوْقِع هذا التَّعقيب: اسْتِئناف[٢] جديد جاء بصيغة الاستفهام؛ للتَحْضيض على فِعْل الخَير المُؤدّي إلى مَغْفِرة الله تعالى. قال ابن عاشور: (اسْتِفهام إِنْكارِيٌّ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّحْضِيضِ عَلَى السَّعْيِ فِيمَا بِهِ الْمَغْفِرَةُ وَذَلِكَ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ)[٣].

والغَرَضُ مِن هذا التَّعقيب: بَيان أن مَغْفِرة الله ذُنوبَ عبادِه مَرْهونةٌ بالعَفْو والصَّفح والمَغْفِرة لِمَن أَساء. والتَنْبيه على أن هذا الأُسْلوب – نَعْني أُسْلوب التَّحضيض على مَحَبّة مَعالي الأُمور– سبب لِوَعْظ الناس، ودَفْعهم إلى فِعْل الخَير، والمُواصلة في طَريقه خاصةً إذا كانوا قادرين على ذلك ولكنهم تَوَقَّفوا لِسَبب، أو لآخر.

---

(١) أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٤٢٥/١.

(٢) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للأرمي، ٢٨٧/١٩.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٨٩/١٨.

وأَخيراً: فإن مِن أَهَمّ أَغْراض هذا المَقْطَع بَيان أن الله ﷻ يُحِبُّ أن يَغْفِر لِعَبْدِه، ويُحِبّ أن يَفْعَل عبدُه الخَير، ولا يَنْقَطِع عنه؛ لذا دعاهم إلى فِعل ما فيه المَغْفِرة للذنوب، ووصف نفسه بأنه ﷻ الغفور الرحيم؛ ليحمل المُخاطَبين على فعل المطلوب، وجاءت جملة الفاصلة على سبيل التعليل لما تقدّم؛ لتكون الدعوى مَكينة في القَبول والإقناع، والله تعالى أعلم.

* *

الخاتمة

بعد هذه الجولة البحثية الماتعة مع كتاب الله ﷻ، وفي أودية كتب التفسير والحديث باحثين عن حاجتنا فيها خَلُصْنا إلى جملة من النتائج، نسجل هنا أهمها:

١-التعقيب القرآني أسلوب من الأساليب التي أستعملها القرآن الكريم لغايات البيان لما غَمُض، أو التعليل لما حكم به أو التذييل والتتميم لما يحتاج إليه بحيث يمكن القول بأن كل ما في القرآن جاء في موقعه؛ لأداء رسالته.

٢-ثمت مصطلحات تحمل معنى التعقيب استعمل المفسرون بعضها كالتذييل والتتميم والفاصلة وغير ذلك من الألفاظ ذات الدلالات البيانية والفكرية بحيث تلتقي مع مصطلح التعقيب من حيث الدلالة العامة.

٣-اشتمال القرآن الكريم على إشارات واضحة إلى طائفة من الأحداث التي جرت في زمن النبي ﷺ، وإبان حياته بحيث نطمئن إلى الجزم بأن نعتبر القرآن الكريم من المصادر الأولى التي تحكي لنا تلك الأحداث.

٤-عَرَضَ القرآن الكريم أحداث السيرة النبوية عرضاً إشاريًّا دون التصريح بتلك الأحداث كما هو الحال في كتب التاريخ والسير. فكان القرآن الكريم يعرض تلك الأحداث مُركِّزاً على قضاياها الأساسية، ونقاطها المؤثرة دون العناية بالجزئيات، وما ليس له كبير نصيب في فهم المعنى وتوجيهه.

٥-لم يكتفِ القرآن بحكاية أحداث السيرة بالطريقة المذكورة بل كان يعتني بالجوانب النفسية لتلك الأحداث. وقد لَمَسنا هذا من خلال أساليب التعبير البليغة باختيار الألفاظ والحروف ومسائل التقديم والتأخير أو الحذف والذكر أو التعريف والتنكير ونحو ذلك.

٦-إن دقة صياغة النص القرآني والتأليف بين أجزائه قد ظهرت روعتها بعد إطالة النظر في البحث عن تلك العلاقات بين آيات التعقيب وما قبلها.

٧-بعض آيات القرآن الكريم التي اشتملت على ذِكْرٍ لأحداث السيرة النبوية في سورة النور كان لها سبب نزول صريح صحيح، وبعضها يُكْتَفى فيه بتأكيد النص القرآني من خلال فحواه على إشارتها على ذلك الحدث.

٨-تعد الدراسات السياقية للنص القرآني من القواعد الآمنة في فهمه، والاعتماد عليها في توجيه المعنى، واختيار الراجح من أقوال المفسرين.

٩-معظم الآيات التي اشتملت على إشارة إلى أحداث السيرة النبوية في سورة النور "موضوع الدراسة" كانت موضوعاتها تلامس واقع المسلمين اليوم، بل وفي كل زمان؛ مما يفيد بالدليل القاطع عالمية رسالة الإسلام ودعوة رسول الله ﷺ .

التوصيات:

مما توصي به الدراسة:

١-أن يقوم طلاب العلم الشرعي، خاصةً طلاب التفسير والحديث، بدراسة السيرة النبوية من خلال النص القرآني، وذلك بالاعتماد على أسباب النزول المقبولة، والاستئناس بقاعدة السياق القرآني؛ للوصول إلى تقرير حقيقة أن القرآن الكريم هو المصدر الأصدق والأدق في عرض قضايا السيرة النبوية، ولا سيما ما غاب منها عن اجتهاد وعقول كتابها.

٢-العمل في كليات الشريعة على الجمع في الدراسات العلمية بين الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وعدم تكريس الفصل بينهما؛ لتكون طبيعة الدراسة متكاملة غير منقوصة.

قائمة المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط،ت.**

٢. أساس البلاغة، **أبو القاسم: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.**

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، **محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.**

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **عبد الله بن عمر الشيرازي (ت٦٩١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.**

٥. البحر المحيط، **أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.**

٦. البرهان في علوم القرآن، **أبو عبد الله: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.**

٧. تحرير ألفاظ التنبيه، **أبو زكريا: يحيى بن زكريا النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.**

٨. التحرير والتنوير، **محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، د.ط ١٩٨٤م.**

٩. التَّسهيل لعلوم التنزيل، **محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، دار الفكر، بيروت د.ط،ت.**

١٠. تفسير القرآن العظيم، **أبو الفداء: إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، دار المعرفة بيروت ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.**

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.**

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، **أبو جعفر: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.**

١٣. الجامع الصحيح، **أبو الحسين: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ط،ت.**

١٤. الجامع الصحيح، **أبو عبد الله: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.**

١٥. الجامع الكبير، **أبو عيسى: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.**

١٦. حاشية الصاوي على الجلالين، **أحمد الصاوي (ت١٢٤١هـ)، دار إحياء الكتب العربية القاهرة د.ط،ت.**

١٧. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، **محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، دار طوق النجاة، ودار المنهاج، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.**

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ت.**

١٩. السنن، **أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قرة، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.**

٢٠. السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، **المثنى محمود، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن،٢٠٠٥م.**

٢١. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، **عبد الرحمن المطيري، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.**

٢٢. طرح التثريب في شرح التقريب، **أبو الفضل: عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٠م.**

٢٣. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، **أبو العباس: أحمد بن يوسف (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.**

٢٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، **محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط،ت.**

٢٥. فُتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، **الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق جماعة من الباحثين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.**

٢٦. القصص القرآني في منظومه ومفهومه، **عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط٢ ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.**

٢٧. كتاب العين، **أبو عبد الرحمن: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.**

٢٨. لسان العرب، **محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ.**

٢٩. مجاز القرآن، **أبو عبيدة: معمر بن المثنى التَّيْمي البصري (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.**

٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **أبو محمد: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.**

٣١. المخصص، **أبو الحسن: علي بن إسماعيل بن سيدة (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: إبراهيم خليل جفال دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.**

٣٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، **أبو البركات: عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.**

٣٣. المسند، **أبو عبد الله: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.**

٣٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن، **أبو محمد: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.**

٣٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، **أحمد مختار عمر (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.**

٣٦. معجم مقاييس اللغة، **أبو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.**

٣٧. مفاتيح الغيب، **أبو عبد الله: محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.**

٣٨. مفردات ألفاظ القرآن، **الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٧م.**

٣٩. موقع الإسلام ويب:

https://fatwa.islamweb.net/ar/fatwa/٧٠٥٢٤/

٤٠. نَظم الدرر في تناسب الآيات والسُوَر، أبو الحسن: إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م.

* * *